تفسير

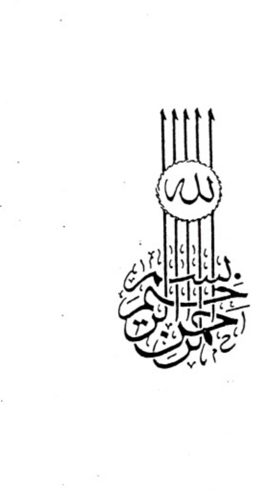
سورة والتين

للشيخ محمد عثمان سراج الدين النقشبندي

"قدس الله سره"

يوزع مجاناً عن روح

ابراهيم ومحاسن وناريمان فولادكار رحمهم الله


الله
بسم الله الرحمن الرحيم

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلـرَّحْمٰنِ ٱلـرَّحِيمِ ٱلْحَمْـدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلٰـهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَأَنَّ سَيِّدَنَـا مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُـهُ صَلَّى ٱللَّهُ عَلىٰ سَيِّدِنَـا مُحَمَّدٍ وَجَمِيعِ إِخْوَانِهِ مِنَ ٱلنَّبِيِّينَ وَٱلصِّـدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَاءِ وَٱلصَّـالِحِينَ وَآلِهِ وَأَصْحَابِهِ أَجْمَعِينَ وَٱلْأَوْلِيَاءِ وَٱلْعُلَمَاءِ.

أَمَّـا بَعْـدُ فَـإِنَّ لِكُـلِّ جُمْلَةٍ مِنْ جُمَـلِ ٱلْقُـرْءَانِ ٱلْعَـظِيمِ مَعَانِي وَدَقَـائِقَ كَثِيرَةً يُمْكِنُ لِأَهْلِ ٱلـظَّاهِرِ الاطِّـلَاعُ عَلَيْهَـا وَحَقَـائِقَ لَا يُمْكِنُ ٱلْعِـلْمُ بِهَـا إِلَّا لِلرَّاسِخِينَ فِي ٱلْعِلْمِ وَرُمُوزاً لَمْ يَطَّلِعْ عَلَيْهَا إِلَّا ٱلنَّبِيُّ صَلَّىٰ ٱللَّهُ تَعَـالَىٰ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَـإِنَّ جَمِيعَ ٱلْأَحَـادِيثِ ٱسْتَنْبَـطَهَا صَلَّىٰ ٱللَّهُ تَعَـالَىٰ عَلَيْـهِ وَسَلَّمَ مِنَ ٱلْقُـرْءَانِ **﴿وَمَـا يَنْطِقُ عَنْ ٱلْهَـوَىٰ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُـوحَىٰ﴾**[1]

---

(١) سورة والنجم رقم الآية ٣ و٤.

لٰكِنْ طَرِيقُ فَهْمِ ذٰلِكَ مَسْدُودٌ عَلىٰ غَيْرِهِ ﴿فَلَا يُظْهِرُ عَلىٰ غَيْبِهِ أَحَداً﴾ [1] ﴿إِلَّا مَنْ ٱرْتَضَىٰ مِنْ رَسُولٍ﴾ [2] وَلَهَا دَقَائِقُ لَا يُمْكِنُ أَنْ يَطَّلِعَ عَلَيْهَا غَيْرُ ٱللّٰهِ ﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا اللهُ﴾ [3] وَقَدْ بَيَّنَ ٱللّٰهُ فِي سُورَةِ ٱلتِّينِ حَقِيقَةَ ٱلْإِنْسَانِ وَتَفْصِيلُ تَفْسِيرِهَا لَا يَسَعُهُ مُجَلَّدَاتٌ تَمْلَأُ سَيَّارَاتٍ وَطَيَّارَاتٍ ﴿وَلَوْ أَنَّ مَا فِي ٱلْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ ٱللّٰهِ﴾ [4] وَنَحْنُ نَذْكُرُ إِجْمَالاً لَعَلَّهُ يَصِيرُ وَسِيلَةً لِإِطْلَاعِ ٱلْمُنْصِفِينَ ٱلْمُطَالِعِينَ لِرِسَالَتِنَا هٰذِهِ عَلىٰ تَفْصِيلِهَا وَلَيْسَ لِأَهْلِ ٱلظَّاهِرِ إِنْكَارُ مَا يَذْكُرُهُ ٱلْعُرَفَاءُ مِنْ تَفْسِيرِ ٱلْقُرْءَانِ إِلَّا أَنْ يُخَالِفَ بُرْهَاناً نَقْلِيّاً أَوْ عَقْلِيّاً وَلَا لِلْعُرَفَاءِ

---

(١) سورة الجن آية ٢٧.
(٢) سورة الجن آية ٢٨.
(٣) سورة النمل آية ٦٥.
(٤) سورة لقمان آية ٢٧.

أَنْ يُنْكِرُوا مَا قَالَهُ أَهْلُ ٱلظَّاهِرِ إِلاَّ أَنْ لاَ يُطَابِقَ قَوَاعِدَ ٱلدِّينِ لأَنَّ لِلْقُرْءانِ ظَهْراً وَبَطْناً وَظَهْرَ ظَهْرٍ وَبَطْنَ بَطْنٍ وَهٰكَذَا إِلىٰ مَا لاَ يَعْلَمُهُ إِلاَّ ٱللَّهُ.

فَنَذْكُرُ أَوَّلاً مُقَدِّمَاتٍ هِيَ أَنَّ ٱلْمَادَّةَ (خ ل ق) مَعَانِي أَشَارَ ٱلْقُرْءانُ إِلىٰ مَعْنَيَيْنِ مِنْهَا الأَوَّلُ الإِيجَادُ وَإِخْرَاجُ ٱللَّهِ ٱلْمَعْدُومَ مِنَ ٱلْعَدَمِ إِلىٰ ٱلْوُجُودِ وَعَلَيْهِ مِثْلُ قَوْلِهِ تَعَالىٰ ﴿ٱللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾[1] مُسْتَثْنىً مِنْهُ عَقْلاً وَنَقْلاً ذَاتُهُ تَعَالىٰ بَدَاهَةَ ٱسْتِحَالَةِ تَقَدُّمِ ٱلشَّيْءِ عَلىٰ نَفْسِهِ شَامِلاً لِجَمِيعِ مَا سِوىٰ ٱللَّهِ تَعَالىٰ مُسْتَلْزِماً لِحُدُوثِهِ عَقْلاً وَنَقْلاً. ٱلثَّانِي ٱلتَّصْوِيرُ وَٱلتَّقْدِيرُ وَعَلَيْهِ مِثْلُ قَوْلِهِ تَعَالىٰ: ﴿أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْئَةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْراً بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾[2] وَقَوْلُهُ تَعَالىٰ: ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَالِقِينَ﴾[3] وَلاَ

---

(١) سورة الزمر آية ٦٢.
(٢) سورة آل عمران آية ٤٩.
(٣) سورة المؤمنون آية ١٤.

يُمْكِنُ أَنْ يَصْدُرَ ٱلْمَعْنَىٰ ٱلْأَوَّلُ عَنْ أَحَدٍ سِوَاهُ تَعَالَىٰ عَلَى ٱلْقَوْلِ ٱلْحَقِّ ٱلْمَعْلُومِ عَقْلاً وَنَقْلاً وَكَشْفاً صَحِيحاً وَٱلثَّانِي رُبَّمَا يَصْدُرُ مِنْ ذِي ٱلْحَيَاةِ كَسْباً عَادِيّاً كَمَا قَالَ سَيِّدُنَا عِيسَىٰ عَلَىٰ نَبِيِّنَا وَعَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ ﴿أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْئَةِ ٱلطَّيْرِ﴾(١) ثُمَّ قَسَمَ ٱللَّهُ عَالَمَ ٱلْخَلْقِ بِمَعْنَى ٱلْإِيجَادِ إِلَىٰ عَالَمِ ٱلْخَلْقِ بِمَعْنَى ٱلتَّصْوِيرِ وَٱلتَّقْدِيرِ وَإِلَى عَالَمِ ٱلْأَمْرِ بِمَعْنَىٰ مَا لَا يَقْبَلُ ٱلتَّصْوِيرَ وَٱلتَّقْدِيرَ وَإِلَيْهِ أَشَارَ بِقَوْلِهِ: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾(٢)، ثُمَّ بَيَّنَ حَقِيقَةَ ٱلرُّوحِ بِقَوْلِهِ: ﴿قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾(٣) أَيْ قُلْ لِلسَّائِلِينَ إِنَّ حَقِيقَةَ ٱلرُّوحِ أَمْرٌ مُجَرَّدٌ لَا يَقْبَلُ ٱلتَّصْوِيرَ وَٱلتَّقْدِيرَ وَهُوَ مُقَدَّسٌ فِي ذَاتِهِ وَهٰذَا مَعْنَىٰ إِضَافَتِهِ إِلَيْهِ تَعَالَىٰ فَلَاحَ مِنْ ذٰلِكَ وَدَلَّ عَلَيْهِ ٱلنَّقْلُ وَٱلْعَقْلُ وَإِجْمَاعُ

---

(١) سورة آل عمران آية ٤٩.
(٢) سورة الأعراف آية ٥٤.
(٣) سورة الإسراء آية ٨٥.

ٱلْأَنْبِيَاءِ عَلىٰ كُلٍّ مِنْهُمْ ٱلسَّلَامُ.

وَٱلْعُرَفَاءُ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ سَلَفاً وَخَلَفاً أَنَّ ٱلْعَالَمَ قِسْمَانِ ٱلْأَوَّلُ مَادِّيٌّ يُمْكِنُ أَنْ يُشَاهَدَ وَيُسَمَّىٰ عَالَمُ ٱلْخَلْقِ وَعَالَمُ ٱلشَّهَادَةِ وَٱلْعَالَمُ ٱلسُّفْلِيُّ ٱلظُّلْمَانِيُّ، لَا بِمَعْنىٰ أَنَّهُ ذُو ظُلْمَةٍ أَلْبَتَّةَ بَلْ بِمَعْنىٰ أَنَّ ذَاتَهُ مَادِيَّةٌ لَا مُنَاسَبَةَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ ٱلنُّورِ فِي ذَاتِهِ بِوَجْهٍ وَمِنْهُ ٱلْجَنَّةُ وَٱلنَّارُ بِمَا فِيهِمَا وَٱلْعَرْشُ بِمَا فِيهِ مِن الكُرسِيِّ وَٱلسَّمٰوَاتِ وَٱلْكَوَاكِبُ وَٱلْأَرْضُ وَٱلْعَنَاصِرُ وَٱلْعُنْصُرِيَّاتُ وَٱلْجِنُّ وَالشَّيَاطِينُ وَٱلْمَلَائِكَةُ عَلىٰ ٱلْقَوْلِ ٱلْحَقِّ مِنْ كَوْنِ ٱلْمَلَكِ جِسْماً نُورَانِيّاً لَا رُوحاً مُجَرَّداً.

وَعَلَاقَةُ كُلِّ جُزْءٍ مِنْ أَجْزَاءِ ٱلْعَالَمِ ٱلْمَادِّيِّ وَرُبَّمَا تُسَمَّىٰ قُرْباً وَمَعِيَّةً وَإِحَاطَةً وَحُلُولاً وَظَرْفِيَّةً أَرْبَعَةٌ، إِمَّا عِلَاقَةُ جِسْمٍ بِجِسْمٍ أَوْ بِعَرَضٍ، أَوْ عَرَضٍ بِعَرَضٍ أَوْ بِجِسْمٍ كَعَلَاقَةِ ٱلْمِسْكِ بِمَنْ يَشُمُّهُ أَوْ بِرِيحِهِ أَوْ رِيحِهِ بِهِ أَوْ بِطَعْمِهِ وَهٰذِهِ ٱلْأَرْبَعَةُ مَحْسُوسَةٌ لِكُلِّ أَحَدٍ لَا تَحْتَاجُ إِلىٰ تَوْضِيحٍ وَبَيَانٍ، وَشَأْنُ هٰذا ٱلْعَالَمِ فِي

ذَاتِـهِ الشَّـرُّ ٱلْمَحْضُ وَٱلْبُعْـدُ عَنِ اللَّهِ تَعَـالىٰ وَٱلْكُفْـرُ وَٱلْفِسْقُ وَالاْنهِمَاكُ فِي ٱلشَّهَوَاتِ وَٱللَّذَائِذِ ٱلْجِسْمَانِيَّـةِ إِلَّا بَعْـدَ تَعَلُّقِ ٱلْمُجَـرَّدِ بِـهِ وَكَمَـالِ تَـزْكِيَتِـهِ لٰكِنَّ ٱللَّهَ تَعَالىٰ بِمَحْضِ فَضْلِهِ وَجُودِهِ طَهَّرَ طِينَةَ ٱلْمَلَكِ وَبَدَّلَهَا خَيْراً مَحْضاً وَمَـعْ ذٰلِكَ ٱنْسَـدَّ عَنْهُمْ بَابُ ٱلتَّـرَقِّي وَمِنْ ثَمَّةَ حَكىٰ فِي ٱلْقُرْءَانِ عَنْ ٱلـدُّسْتُورِ ٱلْأَعْـظَمِ رَئِيسِ ٱلْمَلائِكَةِ عَلىٰ كُلٍّ مِنهُمْ ٱلسَّلاَمُ قَـوْلَهُ. ﴿**وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ**﴾[1] وَٱلسِّرُّ فِي ذٰلِكَ أَنَّ ٱللَّهَ تَعَالىٰ وَإِنْ كَانَ خَالِقاً مُخْتَاراً يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ وَيَحْكُمُ مَا يُـرِيدُ لٰكِنْ صَرَفَ عَادَتَهُ ٱلسَّنِيَّةَ بِأَنْ لَا يَتَرَقَّى أَحَـدٌ مِنْ نَقْصٍ إِلىٰ كَمَـالٍ إِلَّا بِالْمُجَـاهَدَاتِ أَوْ مُقَـاسَاةِ ٱلشَّـدَائِـدِ وَذٰلِـكَ بِمُعَاوَقَةِ وَمُدَافَعَةِ مَوَانِعَ وَعَـوَائِقَ جِسْمَانِيَّـةٍ شَهَوِيَّـةٍ كَمَا أَنَّ ذٰلِكَ مُجَرَّبٌ وَهٰـذَا مُنْتَفٍ فِي ٱلْمَلٰئِكَةِ، وَمِنْ ثَمَّ لَا يُوصَفُونَ بِذُكُورَةٍ وَلَا أُنُوثَةٍ وَيُـطِيقُونَ ٱلْأَعْمَـالَ ٱلشَّاقَّـةَ ﴿**لا يَعْصُـونَ ٱللَّـهَ مَا أَمَـرَهُـمْ وَيَفْعَلُـونَ مَا**

---

(١) سورة الصافات آية ١٦٤.

يُؤْمَرُونَ﴾(١)، وَغَايَةُ عُروجٍ مَا مِنْ هٰذَا ٱلْعَالَمِ إِلَىٰ مُحَدَّبِ ٱلْعَرْشِ إِلَّا لِلْحَقِيقَةِ ٱلْمُحَمَّدِيَّةِ صَلَّىٰ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ عَليهِ وَسَلَّم فَإِنَّهُ صَارَتْ مَادِّيَّتُهُ فِي حُكْمِ ٱلْمُجَرَّدِ وَمِنْ ثَمَّةَ لَمْ يَكُنْ لَهُ ظِلٌّ دَائِماً وَكَانَ يَرىٰ مِنْ خَلْفِهِ كَمَا يَرىٰ مِنْ أَمَامِهِ وَعُرِجَ بِجَسَدِهِ ٱلشَّرِيفِ إِلَىٰ مَا شَاءَ ٱللَّهُ مِنْ عَالَمِ ٱلْأَمْرِ أَيْ إِلَىٰ دَائِرَةِ ٱلْحَقِيقَةِ ٱلْمُحَمَّدِيَّةِ صَلَّىٰ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى ٱلْحَقِّ ٱلَّذِي عَلَيْهِ ٱلْعُرَفَاءُ لٰكِنْ كَمَالُ غُموضِ عُرُوجِ جَسَدِهِ ٱلشَّرِيفِ إِلَىٰ مَا فَوْقَ ٱلْعَرْشِ لَا يُصَيِّرُ مُنْكِرَ هٰذَا ٱلْقَدْرِ مِنْ أَمْرِ ٱلْإِسْرَاءِ كَافِراً وَلَا مُبْتَدِعاً وَرُبَّمَا يُسْتَأْنَسُ لِهٰذَا بِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: **﴿سُبْحَانَ ٱلَّذِي أَسْرىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَىٰ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَى ٱلَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ﴾**(٢) فِي ٱلْحَقِيقَةِ هُوَ حَقِيقَةُ ٱلْكَعْبَةِ ٱلَّتِي هِيَ مِنْ دَوَائِرِ عَالَمِ ٱلْأَمْرِ لٰكِنْ **﴿مَنْ يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ**

---

(١) سورة التحريم آية ٦.
(٢) سورة الإسراء آية ١.

ٱلْمُهْتَـدِي﴾ [1] وَهُـوَ ٱلَّـذِي ﴿عَلَّمَ ٱلإِنْسَـانَ [2] مَـا لَمْ يَعْلَمْ﴾ ﴿وَمَنْ يُضْلِلْ ٱللَّهُ فَلاَ هَادِيَ لَهُ﴾ [3].

وَٱلثَّـانِي عَالَمُ ٱلْأَمْـرِ لَا يُمْكِنُ أَنْ يُشَاهَـدَ إِلَّا بِعَيْنِ ٱلْبَصِيـرَةِ أَوْ بِعَيْنِ ٱلْبَصَرِ لِمَنْ تَصَفَّى مُجَـرَّدَاتُـهُ غَـايَـةَ ٱلصَّفَـاءِ وَتَزَكَّتْ مَـادِّيَاتُـهُ غَايَـةَ ٱلتَّزَكِّي وَيُسَمَّى عَـالَمُ ٱلْمُجَـرَّدِ وَعَـالَمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلْعَـالَمُ ٱلْعُلْوِيُّ ٱلنُّورَانِيُّ، وَشَـأْنُهُ فِي ذَاتِـهِ ٱلْخَيْرُ ٱلْمَحْضُ وَٱلْقُـرْبُ مِنْـهُ تَعَـالَىٰ وَالطَّاعَةُ وَالاسْتِغْرَاقُ فِي ٱلْمَعَارِفِ ٱلـرَّبَّانِيَّـةِ وَٱلْمَعْرِفَـةُ وَٱلْعِـرْفَانُ، وَمَعِيَّتُـهُ مَعْ ٱلْمَـادِّيَّاتِ مَعِيَّـةٌ خَامِسَـةٌ فَـوْقَ ٱلْمَعِيَّـاتِ ٱلْأَرْبَعِ ٱلْمَـادَّةِ لَا يَعْلَمُهَا غَيْـرُ ٱلْعُـرَفَـاءِ وَلَا يَقْدِرُ أَحَدٌ أَنْ يُفْصِحَ عَنْهَا بِـالْعِبَادَةِ، وَلِغَـايَةِ غُمُـوضِهَا لَمْ يُبَيِّنْ قُـدَمَـاءُ ٱلصُّـوفِيَّـةِ ٱلصَّفِيَّـةِ رَضِيَ ٱللَّهُ تَعَـالَىٰ عَنْهُم بِاللَّفْظِ حَقِيقَتَهُ، وَمِنْ ثَمَّ قَالَ سَيِّدُ الطَّائِفَتَيْنِ

---

(١) سورة الأعراف آية ١٧٨.
(٢) سورة العَلَق آية ٥.
(٣) سورة الأعراف آية ١٨٦.

جُنَيْدُ ٱلْبَغْدَادِيُّ رَضِيَ ٱللَّهُ تَعَالىٰ عَنْهُ ﴿لَا أُعَبِّرُ عَنِ ٱلرُّوحِ بِأَكْثَرَ مِنْ أَنَّهُ مَوْجُودٌ﴾.

وَبَنَوْا أَمْرَ مَعْرِفَةِ ٱلرُّوحِ ٱلْمُجَرَّدِ عَلىٰ فَجْرِ ٱلْمُشَاهَدَةِ ٱلَّتِي تَحْصُلُ بَعْدَ كَمَالِ تَصْفِيَةِ ٱلْقَلْبِ وَتَزْكِيَةِ ٱلنَّفْسِ وَصَيْرُورَتِهَا مُطْمَئِنَّةً رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً، لٰكِنْ نَذْكُرُ لِهٰذِهِ ٱلْمَعِيَّةِ ٱلْخَامِسَةِ مِثَالاً مَحْسُوساً لَعَلَّهُ يَصِيرُ سَبَباً لِتَعَقُّلِ إِجْمَالِ هٰذِهِ ٱلْمَعِيَّةِ فَنَقُولُ: كَمَا أَنَّ صُورَةَ ٱلْجَبَلِ ٱلْمُقَابِلِ لِلْمِرْءَاةِ تُرىٰ فِيهَا مَعْ أَنَّ أَصْلَ ٱلْجَبَلِ وَصُورَتَهُ لَيْسَا فِي ثُخْنِ ٱلْمِرْءَاةِ وَلاَ فِي سَطْحِهَا حَتَّى أَنَّ كُلَّ مَنْ رَاجَعَ وَجَدَ أَنَّهُ مَعْ ٱلْإِنْصَافِ صِدْقاً بِأَنَّ صُورَةَ ٱلْجَبَلِ كَائِنَةٌ فِي ٱلْمِرْءَاةِ وَلَا كَائِنَةٌ فِيهَا وَلَا تَنَاقُضَ فِي ذٰلِكَ لِأَنَّهَا كَائِنَةٌ فِيهَا كَيْنُونَةً خَاصَّةً ثَابِتَةً فِي نَفْسِ ٱلْأَمْرِ لَا مِنْ جِنْسِ ٱلْكَيْنُونَاتِ ٱلْمَحْسُوسَةِ فَصُورَةُ ٱلْجَبَلِ ٱلظِّلِّيَّةُ مُتَعَلِّقَةٌ بِمَكَانٍ هُوَ ٱلْمِرْءَاةُ مَعْ أَنَّهَا لَيْسَتْ مَكَانِيَّةً كَذٰلِكَ ٱلرُّوحُ ٱلْمُجَرَّدُ مُتَعَلِّقٌ بِٱلْبَدَنِ مَعْ أَنَّهُ غَيْرُ حَالٍّ فِيهِ فَهُوَ مُتَعَلِّقٌ بِٱلْمَكَانِ

مَعْ أَنَّهُ غَيْرُ مَكَانِيٍّ .

وَفَوْقَ تِلْكَ ٱلْعَلاَقَةِ عَلاَقَةُ ٱلْمُجَرَّدِ بِالْمُجَرَّدِ كَعَلاَقَةِ رُوحِ ٱلْمُعَلِّمِ بِرُوحِ ٱلْمُتَعَلِّمِ ، وَيَعْرِفُ حَقِيقَةَ هٰذِهِ ٱلْخَامِسَةِ وَالسَّادِسَةِ ٱلْعُرَفَاءُ أَهْلُ ٱلْبَصَائِرِ وَٱلْكَشْفِ ٱلصَّحِيحِ ، وَفَوْقَ تِلْكَ ٱلسِّتَّةِ عَلاَقَةُ ٱللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ بِجَمِيعِ ٱلْمَادِّيَّاتِ وَٱلْمُجَرَّدَاتِ بِحَيْثُ لاَ يَعْزُبُ عَنْهُ تَعَالىٰ شَيْءٌ مِنْهَا أَزَلاً وَأَبَداً وَتُسَمَّىٰ مَعِيَّةً وَقُرْباً وَكَيْنُونَةً وَإِحَاطَةً وَمَجِيئاً ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ[1] ٱلْوَرِيدِ﴾، ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ[2] أَيْنَمَا كُنْتُمْ﴾، ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ[3] فِي ٱلسَّمٰوَاتِ﴾، ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطاً﴾[4]، ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ﴾[5]. فَالْحَقُّ وُجُودُ هٰذِهِ

---

(١) سورة قَ آية ١٦ .
(٢) سورة الحديد آية ٤ .
(٣) سورة الأنعام آية ٣ .
(٤) سورة النساء آية ١٢٦ .
(٥) سورة الفجر آية ٢٢ .

ٱلْعَلاَقَةِ السَابِعَةِ وثُبُوتُهَا عَقْلاً وَنَقْلاً وَكَشْفاً صَرِيحاً لٰكِنْ كَمَا أَنَّ ذَاتَ ٱللَّهِ ٱلْمُتَعَلِّقَ لاَ يُشْبِهُهُ وَلاَ يُمَاثِلُهُ شَيْءٌ وَلاَ يُمْكِنُ ٱلاِطِّلاَعُ عَلَىٰ كُنْهِهِ لأَحَدٍ غَيْرِهِ تَعَالَىٰ لاَ فِي ٱلدُّنْيَا وَلاَ فِي ٱلآخِرَةِ إِلَىٰ أَبَدِ ٱلآبَادِ كَذٰلِكَ لاَ يُمَاثِلُ وَلاَ يُشْبِهُ تَعَلُّقَهُ بِالْأَشْيَاءِ شَيْءٌ مِنْ ٱلْعَلاَقَاتِ وَلاَ يُمْكِنُ أَحداً غَيْرَهُ تَعَالَىٰ عِلْمُهَا فَمَنْ خَاضَ فِي تَعَقُّلِهَا فَهُوَ مُتْعِبٌ نَفْسَهُ وَمُهْلِكٌ لَهَا فِي مَا لاَ يُمْكِنُهُ ٱلْوُصُولُ بَلْ يُوشِكُ أَنْ يَجُرَّهُ إِلَىٰ وَرْطَةِ ٱلضَّلاَلِ وَيُدْخِلَهُ لُجَّةَ ٱلْوَبَالِ فَعَلَيْنَا أَنْ نُؤْمِنَ بِهَا وَبِأَنَّ ٱللَّهَ مُتَعَلِّقٌ بِجَمِيعِ ٱلْأَمْكِنَةِ مَعْ أَنَّهُ غَيْرُ حَالٍّ فِيهَا، وَلاَ نَتَفَكَّرَ فِي ذٰلِكَ مَا هِيَ وَلاَ كَيْفَ هِيَ، وَلِكَمَالِ غُمُوضِ تَجَرُّدِ ٱلرُّوحِ ٱلْإِنْسَانِيِّ تَرَدَّدَ فِيهِ ٱلْقَاضِي أَبُو بَكْرٍ ٱلْبَاقِلاَّنِيُّ رَضِيَ ٱللَّهُ تَعالىٰ عَنْهُ بَلْ كَانَ يَحْسِبُ كَوْنَهُ جِسْماً إِلَى أَنْ مَرَّ بِحَلْقَةِ سَيِّدِنَا أَبِي عُثْمَانَ ٱلْمَغْرِبِيِّ رَضِيَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ وَكَانَ يَبْحَثُ عَنْ تَجَرُّدِهِ لِلصُّوفِيَّةِ فَاسْتَمَعَ مَقَالَتَهُ وَصَدَّقَ بِتَجَرُّدِهِ فَقَالَ أَسْلَمْتُ عَلَىٰ يَدِ هٰذَا ٱلرَّجُلِ،

فَانْظُرُوا إِلَىٰ كَلَامِهِ ٱلدَّالِّ عَلَىٰ أَنَّ مِنَ ٱلْأُصُولِ ٱلْإِيمَانُ بِتَجَرُّدِهِ وَأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ مُسْلِماً إِلَىٰ أَنْ صَدَّقَ بِتَجَرُّدِهِ.

ثُمَّ إِنَّ عَالَمَ ٱلْمُجَرَّدِ وَإِنْ كَانَ فِي سَاحَةِ ٱلْقُدْسِ وَنُورَانِيّاً مَحْضاً فِي ذَاتِهِ لٰكِنَّهُ دَنِسٌ مُظْلِمٌ بِالنِّسْبَةِ إِلَىٰ ٱللَّهِ تَعَالَىٰ وَمُنْسَدٌّ عَنْهُ بَابُ ٱلتَّرَقِّي فِي مَرَاتِبِ ٱلْقُرْبِ مِنْهُ تَعَالَىٰ ٱلْغَيْرِ ٱلْمُتَنَاهِيَةِ إِلَىٰ أَبَدِ ٱلآبَادِ. وَهٰذَا مِنْ حُكْمِ أَبَدِيَّةِ ٱلْجَنَّةِ حَتَّى يَرْتَقِيَ فِيهَا ٱلشَّخْصُ تَرْقِيَاتٍ غَيْرَ مُتَنَاهِيَةٍ، وَأَنَّ ٱلْمَادِّيَّاتِ وَإِنْ كَانَتْ فِي غَايَةِ ٱلدَّنَاسَةِ وَٱلْبُعْدِ مِنْهُ تَعَالَىٰ لٰكِنْ قَدْ تَتَزَكَّى بِالْمُجَاهَدَاتِ فَتَقْتَرِبُ مِنْهُ تَعَالَىٰ شَيْئاً فَشَيْئاً إِلَىٰ أَبَدِ ٱلآبَادِ وَشَرْطُ ٱللَّهِ بِحَسَبِ عَادَتِهِ تَرَقِّي كُلٍّ مِنَ ٱلْمَادِّيِّ وَٱلْمُجَرَّدِ بِامْتِزَاجِهَا ٱمْتِزَاجاً خَامِساً مِنْ جِنْسِ عَلَاقَةِ ٱلْمُجَرَّدِ بِالْمَادِّيِّ وَشَرْطُهُ أَيْضاً بِأَنْ يُطَالِعَ ٱلْمَادِّيَّاتِ ٱلْبَرَازِخَ ٱلْمَعَادِيَّةَ مِنْ ٱلْمَوْتِ ٱلْمُشَارِ إِلَيْهِ بِقَوْلِهِ صَلَّىٰ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «مُوتُوا قَبْلَ أَنْ تَمُوتُوا» وَٱلْمُرُورِ

عَلَىٰ ٱلصِّرَاطِ وَٱلْجَنَّةِ وَيَتَأَلَّم بِالْمَوْتِ وَمُرُورِ ٱلصِّرَاطِ تَأَلُّماً شَبِيهاً بِالْمَوْتِ ٱلْحَقِيقِيّ وَٱلْمُرُورِ ٱلأُخْرَوِيّ وَيَتَصَفَّىٰ وَيَلْتَذَّ بِمَا فِي ٱلْجَنَّةِ تَلَذُّذاً شَبِيهاً بِالتَّلَذُّذِ ٱلأُخْرَوِيّ، وَشَرْطُهُ أَيْضاً بِالاعْتِرَافِ بِأَنَّ كُلَّ شَيْءٍ سِوَاهُ تَعَالَىٰ فِي حُكْمِ ٱلْعَدَمِ وَمَوْصُوفٌ بِجَمِيعِ صِفَاتِ ٱلنَّقْصِ مِنَ ٱلْجَهْلِ وَٱلْعَجْزِ وَٱلْفَقْرِ ٱلْمُطْلَقِ وَٱلتَّسَافُلِ ٱلْكُلِّيّ، وَمِنْ ثَمَّ وَرَدَ فِي ٱلْحَدِيثِ ٱلصَّحِيحِ أَنَّ وُصُولَ كُلِّ أَحَدٍ إِلَىٰ غَيْرِهِ بِالتَّجَانُسِ وَٱلتَّمَاثُلِ، وَٱلْوُصُولُ إِلَيْهِ تَعَالَىٰ بِالتَّضَادّ، فَلَمَّا أَرَادَ ٱللَّهُ أَنْ يَخْلُقَ خَلْقاً يَجْعَلُهُ خَلِيفَةً لَهُ وَيَكُونَ لَهُ حَظٌّ مِنْ عَالَمَيْ ٱلْخَلْقِ وَٱلأَمْرِ حَتَّى يُمْكِنَهُ ٱلْجِهَادَ إِلَىٰ أَبَدِ ٱلآبَادِ وَلاَ يَنْسَدَّ عَنْهُ بَابُ ٱلتَّرَقِّي فِي مَقَامَاتِ ٱلْقُرْبِ مِنْهُ تَعَالَىٰ بَلْ يَتَرَقَّى فِيهَا إِلَىٰ أَبَدِ ٱلآبَادِ، خَلَقَ سَيِّدَنَا آدَمَ أَبَا ٱلْبَشَرِ عَلَيْهِ ٱلسَّلاَمُ مِنْ خَمْسِ مَادِّيَّاتٍ هِيَ ٱلْعَنَاصِرُ ٱلأَرْبَعَةُ وَٱلنَّفْسُ سَوَاءٌ نَبَاتِيَّةٌ مَبْدَءاً لِلْغِذَاءِ وَٱلنَّمَاءِ أَوْ حَيَوَانِيَّةٌ مَبْدَءاً لِلْحِسِّ وَٱلْحَرَكَةِ ٱلإِرَادِيَّةِ أَوْ

إِنْسَانِيَّةٌ ظَاهِرَةٌ وَهِيَ ٱلَّتِي هِيَ أَمَّارَةٌ فِي ذَاتِهَا ثُمَّ تَصِيرُ لَوَّامَةً ثُمَّ مُطْمَئِنَّةً ثُمَّ رَاضِيَةً ثُمَّ مَرْضِيَّةً وَهِيَ ٱلَّتِي يَمْتَازُ بِهَا ظَاهِرُ ٱلْإِنْسَانِ عَنْ سَائِرِ ٱلْأَنْوَاعِ وَٱلْأَجْنَاسِ وَيَسْتَعِدُّ بِهَا ٱلْبَشَرُ بِجَمِيعِ ٱلْعُلُومِ ٱلظَّاهِرَةِ وَٱلصَّنَائِعِ . وَمِنْ خَمْسِ مُجَرَّدَاتٍ هِيَ ٱلْقَلْبُ وَٱلرُّوحُ وَٱلسِّرُّ وَٱلْخَفِيُّ وَٱلْأَخْفَىٰ، وَمَحَلُّ تَعَلُّقِ ٱلْقَلْبِ فِي عَالَمِ ٱلْأَمْرِ ٱلَّذِي هُوَ فَوْقَ ٱلْعَرْشِ تَحْتَ ٱلرُّوحِ ، وَٱلرُّوحُ تَحْتَ ٱلسِّرِّ وَٱلسِّرُّ تَحْتَ ٱلْخَفِيِّ وَٱلْخَفِيُّ تَحْتَ ٱلْأَخْفَىٰ وَجَعَلَ كُلًّا مِنَ ٱلْمَادِّيَّاتِ أَصْلًا لِوَاحِدٍ مِنَ ٱلْمُجَرَّدَاتِ، بِمَعْنَىٰ أَنَّهُ لَا يَتِمُّ كَمَالُ تَصْفِيَةِ ٱلْمُجَرَّدِ وَٱلْفَرْعِ إِلَّا بَعْدَ كَمَالِ تَزْكِيَةِ ٱلْمَادِّيِّ ٱلْأَصْلِ فَجَعَلَ ٱلتُّرَابَ ٱلَّذِي هُوَ أَسْفَلُ ٱلْعَنَاصِرِ ٱلْمُقِرَّ(١) دَائِماً بِكَمَالِ تَسَافُلِهِ أَصْلَ ٱلْأَخْفَىٰ ٱلَّذِي هُوَ أَعْلَىٰ ٱلْمُجَرَّدَاتِ، وَٱلْمَاءَ أَصْلَ ٱلْخَفِيِّ ، وَٱلْهَوَاءَ أَصْلَ ٱلسِّرِّ، وَٱلنَّارَ أَصْلَ ٱلرُّوحِ ، وَٱلنَّفْسَ أَصْلَ

---

(١) من الاقرار.

ٱلْقَلْبِ ٱلَّذِي هُوَ أَسْفَلُ ٱلْمُجَرَّدَاتِ ٱلْمُتَعَلِّقُ فِي ذَاتِهِ بِمَا فَوْقَ مُحَدَّبِ ٱلْعَرْشِ ، فَعَكَسَ تَرْتِيبَ تَعلُّقِ ٱلْمُجَرَّدَاتِ بِالْمَادِّيَّاتِ لِأَنَّ كُلَّ مُجَرَّدٍ سَافِلٍ لَهُ نَوْعُ تَسَافُلٍ فَلَوْ تَعلَّقَ بِمَادِّيٍّ عَالٍ لَمْ يَتَسَنَّ تَسَافُلُهُ، وَتَزْكِيَةُ هٰذِهِ ٱلْمَادِّيَّاتِ لَا تَتِمُّ إِلَىٰ أَبَدِ ٱلآبَادِ فَتَصْفِيَةُ ٱلْمُجَرَّدَاتِ ٱلْمَشْرُوطَةِ بِتَزْكِيَتِهَا كَذٰلِكَ غَيْرُ مُتَنَاهِيَةٍ إِلَىٰ أَبَدِ ٱلآبَادِ ثُمَّ أَدْخَلَهُ ٱلْجَنَّةَ وَتَلَذَّذَ بِهَا وَبِمَا فِيهَا فَتَمَّ فِيهِ شَرَائِطُ ٱلتَّزْكِيَةِ وَهٰذِهِ حِكْمَةُ دُخُولِهِ ٱلْجَنَّةَ وَلٰكِنْ لَمَّا عَلِمَ أَنَّهُ لَوْ ٱنْهَبَطَ إِلَىٰ ٱلْأَرْضِ يَعْتَرِيهِ وَذُرِّيَّتَهُ ٱلشَّدَائِدُ أَحَبَّ أَنْ يَبْقَىٰ فِي ٱلْجَنَّةِ وَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ مُقَاسَاةَ تِلْكَ ٱلشَّدَائِدِ سَبَبٌ لِكَمَالِ ٱلتَّرَقِّي فَنَهَاهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ عَنْ ٱلْأَكْلِ مِنْ ٱلشَّجَرَةِ لِعِلْمِهِ تَعَالَىٰ بِأَنَّهُ يَأْكُلُ فَيَجْعَلُهُ ذَرِيعَةً لِإِخْرَاجِهِ مِنْهَا حَتَّى يَتِمَّ مَا أَرَادَهُ تَعَالَىٰ مِنْ حِكْمَةِ ٱلْخِلَافَةِ فَعِصْيَانُهُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ صُورِيٌّ لَا حَقِيقِيٌّ .

وَقَدْ أَوْدَعَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ فِي صُلْبِ آدَمَ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامَ

حِينَ خَلَقَهُ ذَرَّاتٍ بِعَدَدِ مَا يُوجَدُ مِنْ أَفْرَادِ ٱلْبَشَرِ إِلَىٰ ٱلآخِرَةِ هِيَ مَوَادُّ لِلْبَشَرِ عَلَىٰ مَا نَطَقَتْ بِهِ آيَاتٌ وَأَحَادِيثُ وَتَتَكَابَرُ ٱلذَّرَّةُ ٱلْمَادَّةُ لِكُلِّ بَشَرٍ فِي أَصْلَابِ ٱلآبَاءِ وَأَرْحَامِ ٱلأُمَّهَاتِ شَيْئاً فَشَيْئاً إِلَىٰ أَنْ تَصِلَ إِلَىٰ رَحِمِ أُمِّهِ ٱلْقُرْبَىٰ فَتَصِيرَ نُطْفَةً أَرْبَعِينَ يَوْماً ثُمَّ عَلَقَةً كَذٰلِكَ ثُمَّ مُضْغَةً كَذٰلِكَ ثُمَّ يَخْلُقُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ لَهُ ٱلنَّفْسَ ٱلنَّبَاتِيَّةَ وَٱلْحَيَوَانِيَّةَ وَٱلإِنْسَانِيَّةَ ٱلظَّاهِرَةَ وَتُنْفَخُ فِيهِ فَيَصِيرُ إِنْسَاناً ظَاهِرِيّاً فَيَسْتَعِدُّ عَادَةً أَنْ يَتَعَلَّقَ بِهِ ٱلْمُجَرَّدَاتُ ٱلْخَمْسُ فَتَتَعَلَّقَ بِهِ وَإِذَا تَعَلَّقَتْ ٱلْمُجَرَّدَاتُ بِالْمَادِّيَّاتِ تَنَسَّتْ مَبْدَأَهَا ٱلنُّورَانِيَّ ٱلْعُلْوِيَّ ٱلْقَرِيبَ مِنْهُ تَعَالَىٰ وَتَمَايَلَتْ إِلَىٰ ٱلزَّخَارِفِ ٱلْمَادِّيَّةِ وَٱلشَّهَوَاتِ ٱلنَّفْسَانِيَّةِ وَهٰذَا حَقِيقَةُ ٱلْهُبُوطِ ٱلْمُشَارِ إِلَيْهِ بِمِثْلِ قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿ٱهْبُطُوا مِنْهَا جَمِيعاً﴾(١) ﴿بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾(٢) خِطَاباً لِسَيِّدِنَا آدَمَ وَمَا ٱشْتَمَلَ عَلَيْهِ مِنْ

(١) سورة البقرة آية ٣٨.
(٢) سورة طه آية ١٢٣.

ٱلـذُّرِّيَّاتِ ٱلْمَـوَادِّ لِلْبَشَرِ، وَٱلتُّـرَابُ وَإِنْ كَانَ فِي ذَاتِـهِ مُعْتَرَفاً بِغَـايَةِ ٱلتَّسَـافُلِ وَمَنْشَـأً أَصْلِيّاً لِلتَّـرْقِيَاتِ ٱلْغَيْـرِ ٱلْمُتَنَـاهِيَةِ وَمِنْ ثَمَّـةَ وَرَدَ فِي ٱلْحَدِيثِ ٱلصَّحِيحِ أَنَّـهُ مَفْقُـودٌ فِي طِينَةِ ٱلْمَلَكِ بَـلْ هُوَ مُـرَكَّبٌ مِنَ ٱلْعَنَـاصِرِ ٱلثَّلَاثَةِ ٱلْأُخَرِ لٰكِنَّهُ بِامْتِزَاجِـهِ مَعَ ٱلنَّفْسِ ٱلْأَمَّـارَةِ صَارَ مُتَكَبِّـراً مُسْتَعْلِيـاً فَيَصِيـرُ لُبُّ ٱلْإِنْسَـانِ سَبْعَ لَـطَائِفَ، ٱلْخَمْسَـةُ ٱلْمُجَرَّدَاتُ: ٱلْقَلْبُ وَٱلـرُّوحُ وَٱلسِّرُّ وَٱلْخَفِيُّ وَٱلْأَخْفٰى ٱلْمَـأْسُـورَةُ لِلْمَـادِّيَّـاتِ وَٱلنَّفْسُ ٱلْإِنْسَـانِيَّـةُ ٱلـظَّاهِـرَةُ وَٱللَّطِيفَـةُ وَٱلْقَـالَبِيَّـةُ ٱلْمُشْتَمِلَةُ عَلَىٰ ٱلْمَـادَّةِ وَٱلنَّفْسَيْنِ ٱلنَّبَـاتِيَّـةِ وَٱلْحَيَـوَانِيَّـةِ بِمَـا لَهُمَـا مِنَ ٱلْقُـوىٰ وَٱللَّوَازِمِ فَيَتَوَجَّهُ ٱلشَّخْصُ بِتِلْكَ ٱللَّطَائِفِ ٱلسَّبْعَةِ إِلَىٰ ٱللَّذَائِـذِ ٱلْجِسْمَانِيَّـةِ وَٱلشَّهَوَاتِ ٱلنَّفْسَـانِيَّـةِ وَٱلْأَهْـوِيَـةِ ٱلشَّيْطَانِيَّةِ فَيَحْصُلُ مِنْهُ صَنَائِعُ ظَـاهِرَةٌ مُحَيِّـرَةٌ لِلْعُقُولِ وَيَبْلُغُ بِتَكَبُّرِهِ إِلىٰ أَنْ يَدَّعِيَ ٱلْأُلُوهِيَّةَ وَيَتَبَرَّأَ عَنْ إِشْرَاكِ ٱللَّهِ أَوْ غَيْـرِهِ لَهُ فِي ٱلْمَعْبُـودِيَّةِ وَٱلْمَـالِكِيَّةِ أَوْ ٱلْمِلْكِيَّـةِ

كَمَا قَالَ فِرْعَوْنُ ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلٰهٍ غَيْرِي﴾[1] وَمَنْ وَفَّقَهُ ٱللَّهُ تَعَالىٰ لِلتَّزْكِيَةِ وَٱلتَّصْفِيَةِ يَصْرِفُ مُجَرَّدَاتِهِ وَنَفْسَهُ ٱلْإِنْسَانِيَّةَ ٱلظَّاهِرَةَ إِلَى ٱللَّهِ وَٱمْتِثَالِ أَوَامِرِهِ وَلَا يُوَجِّهُهَا إِلىٰ مَا سِوَاهُ تَعَالىٰ أَصْلاً لٰكِنْ لِاشْتِرَاطِ بَقَائِهِ وَدَوَامِ حَيَاتِهِ بِمِثْلِ ٱلْأَكْلِ وَٱلشُّرْبِ يُوَجِّهُ ٱللَّطِيفَةَ ٱلْقَالَبِيَّةَ إِلَيْهَا حَسَبَ دُسْتُورِ ٱلشَّرْعِ ٱلشَّرِيفِ، وَهٰذَا مَعْنىٰ ٱلْحَدِيثِ ٱلصَّحِيحِ : ﴿إِنَّ ٱلْمُؤْمِنَ لَيَأْكُلُ مِنْ مِعىً وَاحِدَةٍ وَإِنَّ ٱلْكَافِرَ لَيَأْكُلُ مِنْ سَبْعَةِ أَمْعَاءٍ﴾ إِذْ ٱلظَّاهِرُ مِنَ ٱلْأَكْلِ هُوَ مُطْلَقُ ٱلتَّنَاوُلِ ٱلصَّادِقِ بِالْأَكْلِ وَٱلشُّرْبِ وَنَحْوِهِمَا كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالىٰ : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ ٱلْيَتَامَىٰ ظُلْماً إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَاراً﴾[2] ، فَلَمَّا أَرَادَ ٱللَّهُ تَعَالىٰ أَنْ يُجَاهِدَ ٱلْبَشَرُ لَعَلَّهُ يَتَزَكَّى مَادِّيَاتُهُ وَيَتَصَفَّىٰ مُجَرَّدَاتُهُ فَيَقْرُبَ مِنْهُ تَعَالىٰ أَرْسَلَ ٱلرُّسُلَ عَلَيْهِمْ ٱلسَّلَامُ وَأَنْزَلَ

---

(١) سورة القصص آية ٣٨.

(٢) سورة النساء آية ١٠.

ٱلْكُتُبَ وَخَلَقَ لِكُلِّ بَشَرٍ سِتَّ مِئَةِ مَلَكٍ تُسَمَّى مُعَقِّبَاتٍ ثَلاثُ مِئَةٍ مِنْهُمْ يُلازِمُونَهُ نَهَاراً وَثَلَاثُ مِئَةٍ لَيْلاً يُعَاوِنُونَهُ عَلَىٰ ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَهُ فَبِهِدَايَةِ ٱلرُّسُلِ عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ وَمُعَاوَنَةِ ٱلْأَمْلَاكِ يَتَذَكَّرُ ٱلرُّوحُ مَا كَانَ عَلَيْهِ قَبْلُ مِنَ ٱلْقُرْبِ وَيَتَعَاشَقُ أَنْ يَنْفَكَّ عَنْ إِسَارَةِ ٱلْمَادِّيَّاتِ وَيُزَكِّيَها لَعَلَّهُ يَتَرَقَّى فِي مَقَامَاتِ ٱلْقُرْبِ، وَتُرِيدُ ٱلنَّفْسُ ٱلْأَمَّارَةُ أَنْ تَبْقىٰ ٱلْمُجَرَّدَاتُ عَلىٰ ٱلنِّسْيَانِ فَتَزْدَادَ كَثَافَتُها وَبُعْدُهَا عَنْ سَاحَةِ ٱلْقُدْسِ فَيَتَقَاتَلُ ٱلْمُجَرَّدَاتُ بِمَا لَهَا مِنَ ٱلْأَمْلَاكِ مَعَ ٱلنَّفْسِ ٱلْأَمَّارَةِ وَيَحْصُلُ ٱلْجِهَادُ ٱلْأَكْبَرُ ٱلْمُشَارُ إِلَيْهِ بِالْحَدِيثِ ٱلصَّحِيحِ : رَجَعْنَا مِنَ ٱلْجِهَادِ ٱلْأَصْغَرِ إِلَىٰ ٱلْجِهَادِ ٱلْأَكْبَرِ؛ فَإِنْ قَصَدَ ٱلشَّخْصُ غَلَبَةَ ٱلنَّفْسِ فَتَغْلِبُ هِيَ وَيَضْمَحِلُّ فِيهِ شَوْقُ ٱلْقُرْبِ مِنْهُ تَعَالىٰ وَيَتَوَجَّهُ بِشَرَاشِرِهِ إِلىٰ ٱلزَّخَارِفِ ٱلدُّنْيَوِيَّةِ وَيَتَقَوَّىٰ فِي ذٰلِكَ غَايَةَ ٱلتَّقَوِّي وَيَتَوَجَّهُ كُلٌّ مِنْ مَادِّيَّاتِهِ وَمُجَرَّدَاتِهِ إِلَيْهَا، وَمِنْ ثَمَّةَ يَصْدُرُ عَنْ ٱلْكَفَرَةِ تِلْكَ ٱلصَّنَائِعُ ٱلْمُحَيِّرَةُ لِلْعُقُولِ وَمَنْ دَخَلَ حِيطَتَهُمْ يَتَخَلَّقُ بِأَخْلَاقِهِمْ إِلَّا شِرْذِمَةٌ قَلِيلَةٌ نَادِرَةٌ

جِدّاً مَحْفُوظُونَ بِالتَّوْفِيقِ ٱلْإِجْبَارِيِّ وَٱلْهِدَايَةِ ٱلْإِيصَالِيَّةِ وَإِنْ قَصَدَ ٱلشَّخْصُ غَلَبَةَ ٱلرُّوحِ فَيَصِيرُ ظَافِراً فَائِزاً شَيْئاً فَشَيْئاً فَيُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَٱلرَّسُولِ صَلَّىٰ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَيَسْتَسْلِمُ لَهُمَا إِلَىٰ أَنْ يَتَزَكَّى مَادِّيَّاتُهُ كَمَالَ ٱلتَّزْكِيَةِ وَيَتَصَفَّى مُجَرَّدَاتُهُ غَايَةَ ٱلصَّفَاءِ فَيَبْلُغَ مَرْتَبَةَ ٱلْوِلَايَةِ بَلْ ٱلْقُطْبِيَّةِ وَٱلْإِمَامَةِ ٱلْعُظْمىٰ وَٱلرِّيَاسَةِ ٱلْمُطْلَقَةِ وَخِلَافَةِ ٱللَّهِ ٱلْعُلْيَا وَلِغُمُوضِ ٱمْتِزَاجِ ٱلْمُجَرَّدَاتِ وَٱلْمَادِّيَّاتِ وَتَبَادُلِ إِحْدَاهُمَا بِالْأُخْرَىٰ بَاتَ صِفَةُ وَفَكُّ إِسَارَةِ كُلٍّ مِنْهُمَا يُوشِكُ أَنْ لَا يَتَعَقَّلَهُ أَحَدٌ بَلْ يَكَادُ يُنْكِرُهُ، فَنَذْكُرُ لِذٰلِكَ مِثَالاً مَحْسُوساً لَعَلَّهُ يَصِيرُ سَبَباً لِقَبُولِ هٰذَا فَنَقُولُ: جُذُوعُ ٱلنَّخْلِ مَثَلاً مُرَكَّبَةٌ مِنْ ٱلْعَنَاصِرِ ٱلْأَرْبَعَةِ فَتَنَازَلَتْ ٱلنَّارُ عَنْ مَحَلِّهَا ٱلَّذِي تَحْتَ مُقَعَّرِ فَلَكِ ٱلْقَمَرِ وَتَصَاعَدَتْ ٱلتُّرَابُ وَٱلْمَاءُ فَامْتَزَجَتْ ٱلْعَنَاصِرُ ٱلْأَرْبَعَةُ ٱلْمُتَخَالِفَةُ مَنْزِلاً وَقُوَّةً وَصَارَتْ جُذُوعاً فَصَارَتْ ٱلنَّارُ ٱللَّطِيفَةُ فِي حُكْمِ ٱلتُّرَابِ ٱلثَّقِيلِ وَحَصَلَ ٱلتَّأَسُّرُ بَيْنَ ٱلْأَرْبَعَةِ وَصَارَ كُلٌّ مِنْهَا أَسِيراً لِلثَّلَاثَةِ ٱلْأُخَرِ فَإِنْ ٱمْتَصَّتْ ٱلْجُذُوعُ رُطُوبَةَ ٱلْمَاءِ

وَٱلْغِذَاءَ تَزْدَادُ ٱلْإِسَارَةُ وَيَتَقَوَّىٰ ٱلِامْتِزَاجُ شَيْئاً فَشَيْئاً، وَإِذَا قُطِعَ ٱلْجِذْعُ وَأُحْرِقَ يُشَاهَدُ أَنَّ ٱلنَّارَ ٱنْفَكَّتْ عَنْ ٱلْإِسَارَةِ وَتَمِيلُ إِلَىٰ ٱلصُّعُودِ إِلَىٰ ٱلْكُرَةِ ٱلنَّارِيَّةِ وَيَرْتَفِعُ مِنْ ٱلْجِذْعِ حِينَ ٱلِاشْتِعَالِ دُخَانٌ هِيَ مُرَكَّبَةٌ مِنَ ٱلْعَنَاصِرِ إِلَّا أَنَّ جَانِبَ تُرَابِيَّتِهِ أَغْلَبُ فَيَتَصَاعَدُ فِي ضِمْنِ ٱلدُّخَانِ ذَرَّاتٌ صَغِيرَةٌ مِنْ ٱلتُّرَابِ وَرَشَحَاتٌ صَغِيرَةٌ جِدّاً مِنَ ٱلْمَاءِ تَبَعاً لِلنَّارِ ٱلْغَالِبَةِ إِلَىٰ أَنْ يَبْلُغَ ٱلدُّخَانُ كُرَةَ ٱلنَّارِ، فَتَحَلَّلَ ٱلتُّرَابُ وَٱلْمَاءُ نَاراً وَتَنَازَلَ فِي ضِمْنِ ٱلرَّمَادِ أَجْزَاءٌ نَارِيَّةٌ صَغِيرَةٌ جِدّاً وَمَائِيَّةٌ كَذٰلِكَ وَهَوَائِيَّةٌ كَذٰلِكَ فَانْقَلَبَتْ تُرَاباً تَبَعاً لِجِهَةِ ٱلتُّرَابِ ٱلْغَالِبَةِ، فَحَالُ عَدَمِ ٱلْمُجَاهَدَةِ كَحَالِ ٱلْجِذْعِ قَبْلَ قَطْعِهِ وَإِحْرَاقِهِ فَتَمِيلُ ٱلْمُجَرَّدَاتُ ٱلْأَسِيرَةُ لِلْمَادِّيَاتِ كَهِيَ إِلَىٰ ٱلزَّخَارِفِ وَٱلشَّهَوَاتِ فَيَزْدَادُ ٱلْكُلُّ كَثَافَةً وَبُعْداً وَحَالُ ٱلْمُجَاهَدَةِ كَحَالِ إِحْرَاقِهِ فَإِنْ غَلَبَتْ ٱلنَّفْسُ يَصِيرُ جَمِيعُ مَادِّيَاتِهِ وَمُجَرَّدَاتِهِ كَالرَّمَادِ فَيَتِمُّ كَثَافَتُهَا ٱلْغَايَةَ وَإِنْ غَلَبَتْ ٱلرُّوحُ يَصِيرُ هُوَ كَالنَّارِ ٱلصَّاعِدَةِ وَٱلْمَادِّيَاتِ كَالدُّخَانِ ٱلصَّاعِدِ إِلَّا أَنَّ ٱلنَّارَ لَمَّا

بَلَغَتْ ٱلْكُرَةَ ٱلنَّارِيَّةَ تَمَّ صَفَاؤُهَا لِكَوْنِهَا مُمَاثِلَةً فِي ٱلْمَاهِيَّةِ لِلنَّارِ ٱلْمَوْصُولِ إِلَيْهَا بِخِلَافِ ٱلْمُجَرَّدَاتِ وَٱلْمَادِّيَّاتِ فَإِنَّهُ لَا يَتِمُّ مَرَاتِبُ صَفَائِهَا لِتَضَادِّهَا مَاهِيَّةً وَصِفَةً مَعَ ٱللَّهِ ٱلْمُقَرَّبِ مِنْهُ فَكُلَّمَا ٱزْدَادَتْ قُرْباً تَبْتَاقُ قُرْباً فَوْقَهُ، وَإِلَيْهِ ٱلْإِشَارَةُ فِي ٱلْقَصِيدَةِ ٱلْهَمْزِيَّةِ بِقَوْلِهِ:

تَتَبَاهَىٰ بِكَ ٱلدُّهُورُ وَتَسْمُو * بِكَ عَلْيَاً بَعْدَهَا عَلْيَاءُ.

فَعُلِمَ بِذٰلِكَ أَنَّ خَلْقَ ٱلنَّفْسِ ٱلْأَمَّارَةِ وَقِوَاهَا وَطَبَايِعِهَا وَخَلْقَ ٱلشَّيَاطِينِ، وَإِنْ كَانَ فِي نَظَرِ ٱلْعَامَّةِ وَسِيلَةَ إِضْلَالٍ، لٰكِنَّهُ فِي ٱلْحَقِيقَةِ لُطْفٌ وَفَضْلٌ مِنَ ٱللَّهِ تَعَالَىٰ وَمِنْ أُولَىٰ مَرَاتِبِ ٱلْهِدَايَةِ لِسُلُوكِ مَرَاتِبِ ٱلْقُرْبِ وَوَسِيلَةٌ لَهَا وَٱلْمُضَيِّعُ لِذٰلِكَ هُوَ ٱلْبَشَرُ بِاخْتِيَارِهِ، إِذْ لَوْلَا ٱلنَّفْسُ وَمَا ذُكِرَ لَانْسَدَّ بَابُ ٱلتَّرَقِّي عَنِ ٱلْبَشَرِ كَٱلْمَلَكِ فَلَمْ يَتَصَاعَدْ دَائِماً إِلَىٰ أَبَدِ ٱلْآبَادِ، إِذَا تَوَطَّدَ هٰذَا فَنَقُولُ: إِنَّ ٱللَّهَ بَيَّنَ حَقِيقَةَ ٱلْبَشَرِ وَٱمْتِزَاجِ مُجَرَّدَاتِهِ وَمَادِّيَّاتِهِ وَفَكَّ ٱلْإِسَارَةِ كَمَا ذَكَرْنَا كُلَّ ذٰلِكَ فِي سُورَةِ ٱلتِّينِ وَلِجَرَيَانِ عَادَةِ ٱللَّهِ تَعَالَىٰ بِأَنَّهُ يَضْرِبُ لِكُلِّ أَمْرٍ مُغَيَّبٍ مَثَلاً مَحْسُوساً ضَرَبَ مَثَلَيْنِ لِتَبَادُلِ

تَصَاعُدِ ٱلْمُجَرَّدَاتِ بِغَايَةِ ٱلتَّسَافُلِ وَتَبَادُلِ تَسَافُلِ ٱلْمَادِّيَّاتِ بِالتَّصَاعُدِ فَقَالَ: ﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ﴾(١) أَقْسَمَ بِقُدْرَتِهِ ٱلَّتِي أَوْجَدَ بِهَا فِي هَاتَيْنِ ٱلْفَاكِهَتَيْنِ ٱلْمُرَكَّبَتَيْنِ مِنَ ٱلْعَنَاصِرِ ٱلْمُتَسَافِلَةِ رُوحاً وَرَوْحاً جَالِبَيْنِ تَوَجُّهَ ٱلنَّاسِ إِلَيْهِمَا فَتَرَقَّتَا مِنْ غَايَةِ ٱلتَّسَافُلِ إِلَىٰ نِهَايَةِ مَا يُمْكِنُ لَهُمَا مِنَ ٱلتَّعَالِي إِلَىٰ أَنْ يُدْخِلَهُمَا ٱلْمُلُوكُ وَٱلْأُمَرَاءُ بَلْ ٱلْأَنْبِيَاءُ عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ وَٱلْأَوْلِيَاءُ قَدَّسَ ٱللَّهُ سِرَّهُمْ ٱلْمَنَازِلَ ٱلْعَالِيَةَ وَلَا يَقْنَعُونَ بِذٰلِكَ بَلْ يُدْخِلُونَهُمَا فِي أَفْوَاهِهِمْ لٰكِنْ إِذَا وَصَلَتَا إِلَىٰ ٱلْمَعِدَةِ زَالَ رُوحُهُمَا وَرَوْحُهُمَا وَتَسَافَلَتَا غَايَةَ ٱلتَّسَافُلِ بِحَيْثُ إِذَا خَرَجَتَا مِنَ ٱلْمَعِدَةِ لَا تُوضَعَانِ فِي ٱلشَّوَارِعِ وَلَا يَبْقَىٰ لَهُمَا إِلَّا ٱلْكِنُّ وَٱلسَّتْرُ فِي ٱلْخَلَاءِ فَتَبَدَّلَ تَصَاعُدُهُمَا تَسَافُلاً مَعْ ٱتِّحَادِ ٱلْمَادَّةِ فِي ٱلْحَالَتَيْنِ، وَهٰذَا مَثَلُ ٱلْبَشَرِ إِذَا كَفَرَ وَتَسَافَلَتْ مَادِّيَّاتُهُ وَمُجَرَّدَاتُهُ غَايَةَ ٱلتَّسَافُلِ، وَمِنْ ثَمَّةَ لَا يَلِيقُ بِالْكَفَرَةِ إِلَّا ٱلْخُلُودُ

(١) سورة التين آية ١.

فِي آلنَّارِ كَمَا أَنَّ فَضْلَتَهُمَا لاَ تَلِيقُ إلاَّ بِالسَّتْرِ فِي آلْخَلاَءِ، ﴿وَطُورِ سِينِينَ﴾[1] ﴿وَهٰذَا آلْبَلَدِ آلأَمِينِ﴾[2] أَقْسَمَ بِقُدْرَتِهِ آلَّتِي أَوْجَدَ فِي هٰذَا آلْجَبَلِ وَآلْبَلَدِ آلْمُبَارَكَيْنِ آللَّذَيْنِ هُمَا مِنْ جِنْسِ آلْعَنَاصِرِ آلْمُتَسَافِلَةِ رُوحاً وَرَوْحاً بِمُنَاجَاةِ آلأَنْبِيَاءِ وَآلأَوْلِيَاءِ عَلَيْهِمْ آلسَّلاَمُ فِيهِمَا مَعْ آللَّهِ تَعَالىٰ جَالِبَيْنِ تَوَجُّهَ آلنَّاسِ إِلَيْهِمَا بِحَيْثُ يُعَظِّمُونَهُمَا هٰذَا آلتَّعْظِيمَ آلْمُشَاهَدَ فَهُمَا تَصَاعَدَا غَايَةَ آلتَّصَاعُدِ بَعْدَ تَسَافُلِهِمَا غَايَةَ آلتَّسَافُلِ مَعْ آتِّحَادِ آلْمَادَّةِ فِي آلْحَالَيْنِ وَهٰذَا مِثَالٌ لِلْمُؤْمِنِ آلْعَامِلِ آلصَّالِحَاتِ آلْمُبَدِّلِ بِالتَّزْكِيَةِ تَسَافُلَهُ بِالتَّصَاعُدِ فَالْقَسَمُ فِي آلْحَقِيقَةِ دَلِيلٌ وَتَصْوِيرٌ لِلْمُقْسَمِ عَلَيْهِ بِصُورَتَيْنِ مَحْسُوسَتَيْنِ فَتَبَارَكَ آللَّهُ أَحْسَنُ آلْخَالِقِينَ.

﴿لَقَدْ خَلَقْنَا آلإِنْسَانَ﴾ أَوْجَدْنَا كُلَّ فَرْدٍ مِنْ أَفْرَادِ

---

(١) سورة التين آية ٢.
(٢) سورة التين آية ٣.

ٱلْإِنْسَانِ ٱلْبَاطِنِيِّ وَهُوَ مُجَرَّدَاتُهُ ٱلْخَمْسَةُ ٱلْقَلْبُ وَٱلرُّوحُ وَٱلسِّرُّ وَٱلْخَفِيُّ وَٱلْأَخْفَىٰ فَإِنَّ تِلْكَ حَقِيقَةُ ٱلْإِنْسَانِ وَهِيَ ٱلآمِرَةُ ٱلنَّاهِيَةُ ٱلْمَأْمُورَةُ ٱلْمَنْهِيَّةُ ٱلْمُتَصَاعِدَةُ ٱلْمُتَنَازِلَةُ ٱلْقَرِيبَةُ ٱلْبَعِيدَةُ، وَأَمَّا ٱلْمَادِّيَّاتُ فَمَرْكُوبَةٌ لِلْمُجَرَّدَاتِ وَشَبَكَةٌ وَوَسَائِلُ لِتَرَقِّيهَا، وَإِلَيْهِ أَشَارَ ٱلْحَدِيثُ ٱلصَّحِيحُ، إِنَّمَا ٱلْمَادِّيَّاتُ تَعْتَذِرُ فِي ٱلْقِيَامَةِ بِأَنَّهَا كُنَّ جَمَادَاتٍ لَا تَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَٱلْمُجَرَّدَاتُ تَعْتَذِرُ بِأَنَّهَا كَانَتْ كَالرِّيحِ فَيَضْرِبُ ٱللَّهُ لَهُمَا مَثَلَ مُقْعَدٍ عَلَى كَتِفِ أَعْمىٰ فَالْأَعْمَىٰ يَتَحَرَّكُ بِتَعْيِينِ ٱلْمُقْعَدِ لَهُ ٱلطَّرِيقَ وَهِدَايَتِهِ فَلَا يَقْدِرُ ٱلْأَعْمَىٰ عَلَىٰ إِدْرَاكِ ٱلطَّرِيقِ فَيَهْدِيهِ ٱلْمُقْعَدُ وَلَا ٱلْمُقْعَدُ عَلَىٰ ٱلْحَرَكَةِ فَيُحَرِّكُهُ ٱلْأَعْمَىٰ.

﴿فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾[1]، أَيْ أَوْجَدْنَاهُ إِيجَاداً كَائِناً فِي أَحْسَنِ ٱلْإِيجَادَاتِ وَهُوَ إِيجَادُ عَالَمِ ٱلْأَمْرِ فَإِنَّهُ

---

(١) سورة التين آية ٤.

أَحْسَنُ مِنْ إِيجَادِ عَالَمِ ٱلْخَلْقِ وَأَوْجَدْنَاهُ حَالَ كَوْنِهِ فِي أَحْسَنِ مَوْجُودَاتٍ وَهُوَ عَالَمُ ٱلْأَمْرِ.

﴿ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ﴾ (١)، ثُمَّ لَمَّا تَعَلَّقَتْ إِرَادَتُنَا ٱلتَّشْرِيعِيَّةُ ٱلتَّفْوِيضِيَّةُ بِأَنْ يُمْكِنَهُ ٱلتَّرَقِّي فِي مَقَامَاتِ ٱلْقُرْبِ مِنْهُ تَعَالَىٰ جَعَلْنَا هٰذَا ٱلْإِنْسَانَ ٱلْمُرَكَّبَ مِنَ ٱلْمُجَرَّدَاتِ ٱلْخَمْسَةِ شَيْئاً أَسْفَلَ مِنْ كُلِّ سَافِلٍ بِأَنْ مَزَجْنَاهُ مَعَ ٱلْمَادِيَّاتِ ٱلَّتِي مِنْهَا ٱلتُّرَابُ ٱلَّذِي هُوَ فِي مَرْكَزِ ٱلْعَالَمِ وَأَسْفَلُ مِنْ كُلِّ سَافِلٍ فَكَانَ ٱلْإِنْسَانُ ٱلْمُرَكَّبُ مِنْ ٱلْمَادِيَّاتِ وَٱلْمُجَرَّدَاتِ أَسْفَلَ كُلِّ سَافِلٍ وَيُسْتَفَادُ مِنْهُ أَنَّهُ لَا يَتَخَلَّصُ مِنْ هٰذَا ٱلتَّسَافُلِ وَاحِدٌ مِنَ ٱلْبَشَرِ فَاسْتَثْنَىٰ بِقَوْلِهِ: **﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّالِحَاتِ﴾** (٢)، فَكَأَنَّهُ قَالَ جَعَلْنَا كُلَّ إِنْسَانٍ أَسْفَلَ سَافِلِينَ وَيَبْقَىٰ كُلٌّ عَلَىٰ هٰذَا ٱلتَّسَافُلِ إِلَّا ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا تَسَافُلَهُمْ بِالتَّعَالِي مِنْ آثَارِ ٱلْمُجَاهَدَةِ وَهُمُ ٱلَّذِينَ آمَنُوا

(١) سورة التين آية ٥.
(٢) سورة التين آية ٦.

وَعَمِلُوا ٱلصَّالِحَاتِ فَالِاسْتِثْنَاءُ مُتَّصِلٌ وَٱسْتِثْنَاءٌ مِنْ كُلِّيَّةِ مَا يُسْتَفَادُ مِنْ قُوَّةِ قَوْلِهِ: **﴿ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ﴾**(١). فَحَاصِلُ الصُّورَةِ أَنَّ ٱلْإِنْسَانَ فِي أَصْلِهِ مُجَرَّدٌ عَالٍ ثُمَّ يَمْتَزِجُ مَعْ ٱلْمَادِيِّ ٱلسَّافِلِ وَيَزْدَادُ تَسَافُلًا إِلىٰ أَنْ يَصِيرَ كَفَضْلَةِ ٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ بَلْ أَكْثَفَ وَأَنْتَنَ وَأَقْبَحَ مِنْهُمَا إِلَّا ٱلْمُؤْمِنِينَ فَإِنَّهُمْ بِمُجَرَّدِ ٱلْإِيمَانِ يَخْرُجُونَ عَنْ غَايَةِ ٱلتَّسَافُلِ فَإِنْ عَمِلُوا ٱلصَّالِحَاتِ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱنْدَرَجُوا فِي سِلْكِ **﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾**(٢) يَرَوْنَ فِي هٰذِهِ ٱلنَّشْأَةِ جَمِيعَ ٱلْبَرَازِخِ ٱلْمَعَادِيَّةِ مِنْ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمُرُورِ عَلَى ٱلصِّرَاطِ وَدُخُولِ ٱلْجَنَّةِ لٰكِنْ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا مَنْ ذَاقَهَا أَوْ قَلَّدَ مَنْ ذَاقَهَا وَكَانَ مِنْ مَصَادِيقِ **﴿لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَىٰ ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾**(٣) فَيَسْمَعُ هٰذَا ٱلْمُزَكَّى فِي ٱلدُّنْيَا لَذِيذَ

---

(١) سورة التين آية ٥.
(٢) سورة الشمس آية ١٠.
(٣) سورة قٓ آية ٣٨.

خِطَابِ ﴿يَا أَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ﴾ (١) ﴿ٱرْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً﴾ (٢) ﴿فَادْخُلِي فِي عِبَادِي﴾ (٣) ﴿وَٱدْخُلِي جَنَّتِي﴾ (٤)، وَإِنْ لَمْ يَعْمَلْ ٱلصَّالِحَاتِ وَلَمْ يُزَكِّ نَفْسَهُ فَبَعْدَ رُؤْيَتِهِ فِي ٱلآخِرَةِ يَرَىٰ ٱلْبَرَازِخَ ٱلْمَعَادِيَّةَ وَيَعْفُو ٱللَّهُ عَنْ سَيِّئَاتِهِ وَيَسْمَعُ لَذِيذَ ٱلْخِطَابِ فَيَصِيرُ وَلِيّاً وَاصِلاً فَيَدْخُلُ ٱلْجَنَّةَ فَيَتَرَقَّىٰ فِيهَا فِي مَقَامَاتِ ٱلْقُرْبِ إِلَىٰ ٱلأَبَدِ كَمَنْ يُزَكِّي نَفْسَهُ فِي ٱلدُّنْيَا لٰكِنَّهُ أَقْرَبُ مِنْهُ بَلْ بَيْنَ ٱلْمُزَكِّينَ فِي ٱلدُّنْيَا تَفَاوُتٌ فِي مَرَاتِبِ ٱلْقُرْبِ. ﴿فَلَهُمْ أَجْرٌ﴾ (٥) هُوَ ٱزْدِيَادُ ٱلْقُرْبِ مِنْهُ تَعَالَىٰ تَدْرِيجاً، ﴿غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ (٦): غَيْرُ مُنْقَطِعٍ غَيْرُ وَاقِفٍ عِنْدَ حَدٍّ بَلْ يَمْتَدُّ إِلَىٰ أَبَدِ ٱلآبَادِ، ﴿فَمَا

---

(١) سورة الفجر آية ٢٨.
(٢) سورة الفجر آية ٢٩.
(٣) سورة الفجر آية ٣٠.
(٤) سورة الفجر آية ٣١.
(٥) سورة التين آية ٧.
(٦) سورة التين آية ٧.

يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ: ﴾[1] فَبَعْدَ أَنْ بَيَّنَّا حَقِيقَةَ ٱلْإِنْسَانِ فِي ٱلْحَالَيْنِ وَبَيَّنَّا كُلاًّ مِنْهُمَا بِصُورَةٍ مَحْسُوسَةٍ لَا تَخْفَىٰ عَلَىٰ ٱلْمَجَانِينِ وَٱلصِّبْيَانِ فَضْلاً عَنْ ٱلْعَاقِلِ ٱلْبَالِغِ فَأَيُّ شَيْءٍ يُكَذِّبُكَ وَيَنْسُبُ ٱلْكَذِبَ إِلَيْكَ فِي أَمْرٍ مِنْ أُمُورِ ٱلدِّينِ فَإِنَّكَ أُمِّيٌّ لَا تَقْدِرُ أَنْ تَتَكَلَّمَ بِمِثْلِ هٰذَا ٱلْكَلَامِ ٱلْعَاجِزِ عَنْ فَهْمِ حَقِيقَتِهِ غَيْرُ ٱللَّهِ فَضْلاً عَنْ ٱلْإِتْيَانِ فَلَوْلَا ٱلْوَحْيُ ٱلسَّمَاوِيُّ وَٱلتَّعْلِيمُ ٱلْإِلٰهِيُّ لَمْ يَعْلَمْهُ أَحَدٌ. ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَاكِمِينَ﴾[2] أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَتْقَنَ فِعْلاً مِنْ كُلِّ مُتْقِنٍ حَيْثُ خَلَقَ ٱلْإِنْسَانَ ٱلْعَالَمَ ٱلْأَصْغَرَ وَيَصِحُّ أَنْ يَكُونَ ٱلْحُكْمَ بِمَعْنَىٰ خِطَابِ ٱللَّهِ بِمَعْنَىٰ أَنَّهُ تَعَالَىٰ أَحْسَنُ خِطَاباً مِنْ كُلِّ أَحَدٍ وَأَتْقَنُهُ حَقَّ ٱلْإِتْقَانِ.

---

(١) سورة التين آية ٨.
(٢) سورة التين آية ٩.

هٰذَا مَا لَاحَ لَنَا، وَصَلَّى اللَّهُ عَلى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَجَمِيعِ إِخْوَانِهِ مِنْ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَاءِ وَٱلصَّالِحِينَ وَآخِرُ دَعْوَانَا أَنْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ، وَأَنَا ٱلْفَقِيرُ إِلىٰ ٱللَّهِ.

مُحَمَّدٌ عُثْمانُ سِرَاجُ ٱلدِّينِ النَّقْشَبَنْدِيُّ ٱلْقَادِرِيُّ